مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 17، العدد 67 (صيف 2006)، ص 112

ترجمات

أري شفيط

هل نجح الانفصال عن قطاع غزة؟
آراء 4 مسؤولين سياسيين وأمنيين كبار*

مضى عام تقريباً وها نحن مرة أُخرى في قطاع غزة. لا بالمستوطنات، وإنما بقذائف 55 ملم. لا بالمستوطنات، وإنما بغارات أرضية؛ بتدمير بنى تحتية؛ بقطع الكهرباء؛ بقطع المياه؛ بإحراق مبان. حُضنة دب إسرائيلية – فلسطينية لم نر مثيلاً لها منذ فترة طويلة: خوف المخطوف الإسرائيلي في مقابل خوف المصابين الفلسطينيين. خوف سديروت في مقابل خوف بيت حانون. نيران القسّام في مقابل نيران الجحيم. حلقة عنف عمياء تفاقم العنف. قتل يفاقم القتل. إحساس متعاظم بأن وحل غزة استُبدل بوحل حدود غزة. حدود أصبح السلام غائباً عنها؛ حدود لا أمن فيها؛ حدود إسرائيلية – فلسطينية غير منفصلة. لا يوجد إمكان واقعي للانفصال. هل انفجار العنف في الأسابيع الأخيرة يدل على أن الانفصال فشل؟ هل يدل على أن المحاولة الجريئة لإنهاء جزء من الاحتلال من طرف واحد أخفقت؟ سألنا أربعة عن رأيهم: الجنرال احتياط موشيه (بوغي) يعلون [رئيس الأركان السابق إلى فترة قصيرة ما قبل الانفصال] تحدث بحماسة عبر الهاتف من مكان إقامته الحالية في واشنطن. رئيس شركة بازاك [للاتصالات، والمستشار السابق لرئيس الحكومة السابق أريئيل شارون]: المحامي دوف فايسغلاس، تحدث باسترخاء في مقهى مريح في رامات هشارون [....]: عضو الكنيست يوسي بيلين، زعيم ميرتس، حلل الوضع في غرفة الجلوس المكيَّفة في منزله في شمال تل أبيب؛ أفي ديختر [رئيس الشين بيت إلى ما قبل الانفصال بفترة قصيرة ووزير الأمن العام حالياً]، قال ما عنده في مكتبه في مقر وزارة الأمن العام في القدس الشرقية.

موشيه (بوغي) يعلون

"لا مجال للشك في أن الانفصال فشل. وقد كان هذا الفشل متوقعاً. وهو ينبع من كون الفكرة التي يقوم عليها لا أساس لها. إنه لم ينبع من خلال تحليل استراتيجي معمَّق، وإنما من خلال ضائقة سياسية وشخصية كان يعاني جراءها رئيس الحكومة آنذاك، أريئيل شارون. وبالتالي، ما كان لدينا هو لعبة إسرائيلية داخلية تجاهلت ما كان يجري خارج إسرائيل. وما جرى كان انفصالاً عن الواقع، وعن الحقيقة.

"العملية بأكملها أوجدت أملاً وهمياً، غير مستند إلى استراتيجيا أو حقائق. الانفصال كان إلى حد كبير تلفيقاً إعلامياً. والذين ابتدعوه وقادوا [تطبيقه] لم تكن لديهم خلفية في الاستراتيجيا، أو في الأمن، أو في السياسة، أو في التاريخ. كانوا مستشارين في كيفية تلميع صورة الزعيم، وخبراء بالتلفيق الإعلامي. وما فعلوه هو إدخال إسرائيل في فقاعة افتراضية متقطعة عن الواقع بواسطة تلفيق إعلامي ضخم آخذ حالياً في التداعي أمام بصرنا.

"الخطأ في الفكرة التي يقوم عليها الانفصال هو التالي: حقيقة عدم وجود مَنْ نتفاوض معه في الطرف الآخر لا تعني أننا نستطيع تجاهل هذا الطرف، أو تأثير نتائج أفعالنا فيه. وحقيقة أنه حتى قيادة (فتح) ليست مستعدة للاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية، وملتزمة خطة المراحل، لا تعني أن من الممكن تجاهل أن الهروب بفعل وقع النار سيُفَسَّر بأنه استسلام، وسيشجع الإرهاب.

"صحيح أنه بسبب عدم وجود شريك يجب إيقاف العملية السياسية في مرحلة مبكرة، والقول بوضوح إنه لا يوجد شريك. وصحيح أيضاً أنه في مثل هذه الحالة لا مفر من الإقدام على خطوات من طرف واحد. لكن الخطوات أحادية الجانب ليست الانسحاب فقط. الخطوات أحادية الجانب يمكن أن تكون أيضاً هجوماً سياسياً، وربما أيضاً هجوماً عسكرياً، وهجوماً فكرياً – أيديولوجياً.

"العملية التي تمت من طرف واحد، والمتمثلة في الانفصال، عززت الرواية (narrative) الفلسطينية، وأضعفت الرواية الإسرائيلية. إنها رسّخت توقع انسحابات إضافية في الضفة الغربية من دون اتفاق ومن دون مقابل؛ إنها حرمت إسرائيل ميزات من دون أن تقدم لها ميزات [بديلة]. لكن الأهم من ذلك كله هو أن الانفصال أوجد أربع سوابق خطرة. السابقة الأولى هي انسحاب إلى الخط الأخضر. وهذه السابقة ستصعّب الأمر جداً علينا في يهودا والسامرة عندما سنطلب لأنفسنا مناطق حيوية لأمننا.

"السابقة الثانية هي إخلاء مستوطنات من دون مقابل. وهذه السابقة ستجعل إخلاء مستوطنات في يهودا والسامرة، عندما يحين أوان ذلك، يبدو عملاً بديهياً وليس خطوة مؤلمة [يحق] لإسرائيل أن تحصل في مقابلها على ما تحتاج إليه لبقائها وأمنها. السابقة الثالثة هي التنازل عن نزع السلاح، وعن مراقبة الحدود. وقد قوضت هذه السابقة مطلباً إسرائيلياً حيوياً كان متضمناً في اتفاق أوسلو وفي جميع مبادرات السلام التي جرى الحديث عنها في الماضي. غير أن السابقة الرابعة هي الأشد خطورة: لقد أقدمت إسرائيل على جميع تنازلات الانفصال من دون أن تحصل على اعتراف دولي بأن احتلال غزة قد انتهى. وعلى الرغم من كل ما فعلناه فإنه ما زال يُنْظَر إلينا على أننا مسؤولون عن مصير الفلسطينيين في قطاع غزة.

"عندما بدأت المواجهة الحالية في سنة 2000 قلت إننا إذا لم نستفق ونشحذ وعينا، وإذا استمرّينا في الانسحاب والتأجيل، سينشأ تهديد وجودي لمستقبل إسرائيل. لذلك قلت إنه يجب كيّ الوعي الفلسطيني، وإن الحرب ضد الإرهاب يجب أن تنتهي بهزيمة الإرهاب. وبذلك سيفهم الفلسطينيون أن الإرهاب لا يؤتي ثماراً. وفي صيف سنة 2003 تقدمنا كثيراً في اتجاه تحقيق هذا الهدف. فمن الناحية العسكرية قمعنا الإرهاب، وأجبرنا المنظمات الإرهابية على القبول بوقف لإطلاق النار من دون شروط. ومن الناحية السياسية جعلنا جهات أكثر فأكثر تقتنع بأن عرفات هو المشكلة، وليس الحل.

"لكن الانفصال جاء وأحرق الأوراق، وأدى إلى خسارة كل الميزات التي راكمناها في أعوام الحرب. لقد كان الانفصال خطأ استراتيجياً من الدرجة الأولى، أدى إلى انتصار (حماس)، ودفع الإرهاب إلى الأمام، وزود الكفاح الفلسطيني بمؤونة كافية لأعوام، وأوجد شعوراً لدى الإيرانيين والإخوان المسلمين، ولدى القاعدة، بأن من الممكن هزم إسرائيل، وأن إسرائيل هي حقاً مجتمع واه كخيوط العنكبوت، كما يدعي [حسن] نصر الله، أو شجرة عفنة، كما يدعي أحمدي نجاد. وبذلك فإن الانفصال لم يلحق بنا ضرراً فادحاً فحسب، بل أصاب بالضرر أيضاً الاستراتيجيا الأميركية الإقليمية ضد الإرهاب. لا بل أوجد شعوراً لدى الإسلام المتطرف بأنه هزمنا في غزة كما هزم السوفيات في أفغانستان، وكما سيهزمنا في الضفة الغربية، وفي تل أبيب أيضاً. وهكذا، كما أضعف في السابق قوة عظمى عالمية، سيضعف الغرب عن طريق هزيمة إسرائيل.

"نحن الآن موجودون في القطاع في سيناريو الجنوب اللبناني. أُدخلت إلى غزة أسلحة كثيرة؛ أُدخلت إلى غزة متفجرات مصنعة وفقاً لمعايير معتمدة؛ أُدخلت أسلحة كاتيوشا؛ هناك صواريخ مضادة للطائرات؛ هناك صواريخ مضادة للدروع؛ هناك صواريخ غراد. ونتيجة الانفصال والطريقة التي نُفّذ بها، ثمة في القطاع عناصر تابعة لحزب الله، وعناصر تابعة للقاعدة، وعناصر إرهابية تابعة لإيران. هناك معرفة إيرانية، وهناك أموال إيرانية. وبالضبط كما سبق أن حذّرت، تتحول غزة إلى حماستين، حزب الله ستان، وقاعدة ستان.

"وكلما مر الوقت ازداد الوضع خطورة. وسيصبح فشل الانفصال ملموساً أكثر فأكثر. وسنجد أنفسنا في مواجهة مملكة إرهابية قادرة على إطلاق صواريخ إلى داخل إسرائيل ذات مدى أطول وفعالية أكثر ضرراً. وسيصل تهديد الصواريخ إلى عسقلان وإسدود وأعماق النقب. ولا يمكن معالجة هذا التهديد بغارات من الجو فقط. لذلك، إذا أردنا الاستمرار في العيش قد لا يكون هناك مفر من شن عملية على غرار عملية "السور الواقي" [ضد الضفة الغربية في سنة 2002].

"لقد ادعى مؤيدو الانفصال أنه سيمنحنا دعماً دولياً. لكن الرصيد الدولي الذي حصلنا عليه كان محدوداً وعابراً، وهو الآن آخذ في النفاد. وادعوا أيضاً أنه سيحسّن وضعنا الأمني. صحيح أنه من زاوية عسكرية ضيقة يبدو الانتشار الحالي مريحاً أكثر للجيش، غير أن وضعنا الأمني العام أصبح أسوأ بعد الانفصال. لا يوجد توفير في القوة البشرية وفي النفقات كما وُعدنا، ولا يوجد هدوء واستقرار. يوجد ضرر بالغ في البنية التحتية المدنية في سديروت وفي عسقلان، وهناك مغادرة للسكان من هاتين المنطقتين. وحقيقة أننا تعهدنا بالرد بمنتهى القوة إذا أُطلقت صواريخ القسّام علينا ولم نفعل ذلك أدت إلى انسحاق قوة ردعنا، وأثرت سلباً في مكانتنا في المنطقة، وشجعت حتى إيران – بل حتى العمليات الحالية ليست رداً على صواريخ القسّام. عملياً قبلنا إطلاق هذه الصواريخ كما يقبل المرء المطر. أدخلنا السماح بإطلاق صواريخ القسّام على سديروت إلى قواعد اللعبة. وهذا الصبر على الأذى كان خطأً شنيعاً. إذا كان من المسموح به إطلاق صواريخ من غزة على سديروت، فمن المسموح به أيضاً إطلاق صواريخ من لبنان على الجليل. توجد هناك مشكلة كبرى تتمثل في فقدان قوة الردع وسندفع ثمن ذلك باهظاً في المستقبل.

"لقد دعم الجمهور الإسرائيلي بأغلبيته الانفصال لأنهم أعموه وبهروه وخدّروه، وأيضاً لأن لديه رغبة حقيقية في التحرر من نير الصراع، وفي تقسيم الأرض. من المحظور أن نخدع أنفسنا. إننا نعيش في الشرق الأوسط. إننا لا نستطيع التحصن خلف جُدُر وأسوار. لذلك لا يوجد في الحقيقة (من طرف واحد). وحتى عندما لا يكون هناك محادثات مع جيراننا يوجد بيننا وبينهم تفاعل. كل خطوة نخطوها تؤثر فيهم. وعندما تكون الخطوات انسحاباً وانسحاباً وانسحاباً فإن الرسالة التي تصلهم هي أننا ضعفاء. ومن يبدو ضعيفاً في الشرق الأوسط هو أشبه بحيوان ضعيف في الغابة: الوحوش ستهاجمه. لن يتركوه بحاله، وإنما سيهاجمونه.

"لذلك، إذا حاولنا الآن الاستمرار في الانفصال الفاشل بما يسمى (تجميع) [المستوطنات الكبيرة والاستراتيجية في كتل وضمها إلى إسرائيل، والانسحاب من البقية]، فإن النتيجة ستكون خطرة جداً. سنعطي دفعة قوية للإرهاب. سنعطي دفعة قوية للإسلام الراديكالي في المنطقة بأكملها. سنخلق تهديداً استراتيجياً على القدس، وعلى مطار بن – غوريون، وعلى مراكز السكان في السهل الساحلي. صواريخ القسّام والكاتيوشا لن تكون مشكلة سديروت، بل ستصل إلى عتبة البيت في تل أبيب."

دوف فايسغلاس

"إحدى الأفكار الأساسية في الرؤية الاستراتيجية لشارون كانت إدراكه ضعف السلطة الفلسطينية وتفككها، وفقدان السلطة والسيطرة لديها. وهذا الأمر أدى إلى عدم وجود شريك في الطرف الآخر من الطاولة السياسية، بغض النظر عن مضمون أي مشروع سلام مهما يكن. عدم وجود شريك ليس وضعية لا يتوفر فيها طرفان مخولان توقيع اتفاقية. عدم وجود شريك معناه أنه إلى أن يتوفر طرفان مخولان التوقيع فإنه لا توجد أية فرصة في أن يستطيع الفلسطينيون تطبيق الاتفاقية وسط المجموعة الفوضوية من المنظمات، والعصابات، والزمر وأشباه الزمر العنيفة التي يعملون وسطها.

"لهذا السبب تبنينا خريطة الطريق، التي هي في نظري أحد الإنجازات السياسية الكبرى التي حققتها إسرائيل منذ سنة 1967، لأن هذه الخريطة تقرر أنه لن يكون هناك عملية سياسية قبل أن تعود هذه الشراذم الفلسطينية إلى كونها سلطة رسمية واحدة تصفّي الإرهاب وتعمل كدولة. إن خريطة الطريق تحمي إسرائيل من الاضطرار إلى الدخول في مفاوضات سياسية مع كيان متعدد الأذرع والرؤوس والبنادق، ومشبع بالإرهاب والعنف.

"في النصف الثاني من سنة 2003 اتضح لرئيس الحكومة أن فرصة إقدام الفلسطينيين على تنفيذ خريطة الطريق ضئيلة. ومن هنا نشأت الحاجة إلى تحرك من طرف واحد. وبهذا المعنى فإن خطة الانفصال توقعت حدوث عملية التفتت الفلسطيني ولم تتسبب بحدوثها. والانفصال هو الرد الإسرائيلي على الفوضى الفلسطينية. وما يحدث في غزة حالياً هو دليل برهن لاحقاً على صحة مفهوم [الحل] من طرف واحد.

"في الإمكان تخيُّل ما كان يمكن أن يحدث لو أن سيل طاقة العنف الغزاوية انصب على رؤوس الألوف [من الإسرائيليين] الذين كانوا يعيشون في قطاع غزة ويسافرون على الطرق المشتركة ويسكنون على بعد عشرات الأمتار فقط من بيوت الفلسطينيين. لقد كان يعيش هناك نحو 8000 مواطن، معظمهم من النساء والأطفال. وكان هناك آلاف من الجنود. ولو لم يكن العنف المجنون يتفجر [حالياً] على السور المحيط بغزة، لكان تفجر على رؤوس المستوطنين والجنود الموجودين داخلها، ولكانت حدثت كارثة، ولكنا شهدنا حمّام دم.

"صحيح أن العنف يتفجر من غزة أيضاً في الوضع الحالي بشكل صواريخ قسّام، وأنا لا أستخف بذلك، وأضرار هذه الصواريخ مخيفة. لكن الواقع يبرهن على أن الأضرار المادية التي تلحقها ليست كبيرة. وبالتالي فإن الانفصال كان عملاً صحيحاً جداً تم في الوقت الصحيح جداً. وقد سحب من تحت وطأة الهجمات الشريرة للإرهاب الغزاوي المجنون بساطاً من الأهداف، وقلل إلى حد كبير القدرة على الإضرار بالإسرائيليين.

"هناك من يدعي أن الانفصال أدى إلى صعود (حماس)، وهناك من يدعي أن الانفصال كان خضوعاً للإرهاب وعاملاً مشجعاً له. هذا ليس صحيحاً. لا يوجد فلسطيني عاقل يربط بين الانفصال والإرهاب. الإرهاب نابع من أن قوى فلسطينية كثيرة خرجت عن كل سلطة، وعن كل سيطرة، وعن كل إطاعة للأوامر. إنهم لا يطيعون أبو مازن، وقسم منهم لا يطيع حتى [إسماعيل] هنية. قسم منهم يتلقى الأوامر من دمشق، وقسم من طهران، وقسم يعمل وفق رغباته الشخصية. هناك اليوم انحلال كلي للسلطة وفي المجتمع الفلسطيني، وصورة مجسدة تقريباً لمبدأ قانون الغاب. والانفصال لا علاقة له بذلك، لا من قريب ولا من بعيد.

"أنا لا أرى كيف أن حدثاً معيناً في الزمان والمكان، مثل الانفصال، يخفف معاناة الفلسطينيين إلى حد كبير، يمكن أن يُربط، بشكل أو بآخر، بالتغيير السياسي الذي طرأ على السلطة، والذي هو تجسيد لتطورات اجتماعية ودينية عميقة الغور حدثت على امتداد أعوام عديدة. وهناك من يدعي أيضاً أنه كان من المفروض أن نساعد أبو مازن أكثر مما فعلنا. هذا شعار جذاب. لكن ما العمل والشيطان يكمن في التفصيلات. فكل مساعدة لأبو مازن كان مغزاها تراخياً في الأمن، وفي الحواجز، وفي الاعتقالات، وفي التفتيشات، وفي إحباط عمليات. وبالنسبة إلى مسألة الأسرى، ففي كل مرة كنا نتساهل في هذا الأمر كان يطل من بينهم على الفور رأس أفعى الإرهاب. ولهذا السبب قال شارون ذات مرة لزعيم أوروبي كبير أنه مستعد لتقوية أبو مازن في كل أمر، (لكن إذا كنت تتخيل أنني سأوافق على جنازة يهودي واحد من أجل تقوية أبو مازن فأنت ترتكب خطأً كبيراً). وقد قال ذلك بصوت مرتفع على غير عادته.

"كان هناك عدة أهداف للانفصال، وقد تحققت جميعها: أولاً، وقبل كل شيء، أكد للولايات المتحدة ومعظم الدول المهمة في المجتمع الدولي البديهية السياسية الإسرائيلية في أن لا مفاوضات تحت النار، وأنه لن تقوم دولة فلسطينية قبل تصفية الإرهاب، وأنه أنقذ حياة كثيرين، ووفر الأمن للجنود والمستوطنين الذي كانوا يعيشون في غزة، وأيقظ الأمل لدى الجمهور، وأتاح تجديد النمو الاقتصادي، ومنح إسرائيل صدقية في المجتمع الدولي، وبدد الشك الشائع في العالم في أن إسرائيل لن تتزحزح مليمتراً واحداً، ونقل عبء التقدم في العملية السياسية من على عاتق الطرف الإسرائيلي إلى عاتق الطرف الفلسطيني.

"الآن لا يستطيع أحد أن يدعي أن رداءة السلوك الداخلي الفلسطيني سببها الاحتلال. لم يعد هناك أساس للادعاء الفلسطيني أنهم لا يستطيعون العمل جيداً لأن هناك دبابة إسرائيلية في الساحة. الانفصال أثبت بالملموس أن الإرهاب والهمجية والعنف في الجانب الفلسطيني، وغياب أية مظاهر لمجتمع سويّ، لا علاقة لها بالوجود الإسرائيلي. ومن هنا حرية العمل التي يتمتع بها الجيش الإسرائيلي الآن.

"وبالإضافة إلى ذلك كله، استردت دولة إسرائيل بنجاحها في تنفيذ الانفصال شرفها. برهنت على أنها تستطيع أن تتخذ قرارات وتعرف كيف تنفذها بصورة منظمة ومرتبة جيداً. وقد أعاد الانفصال إلى الحكومة ورئيسها ثقة الشعب بهما. وزاد إلى حد كبير في الثقة بالنفس وبالأمن القومي، وانتعشت السياحة، وعاد رأس المال إلى التدفق على إسرائيل. وتحسّن جداً أيضاً ميزان الأمن الشخصي. اختفى الإرهاب في الشوارع وفي الحافلات. وتقلص إلى حد كبير إطلاق النار في طرقات يهودا والسامرة.

"لذلك أعتقد أن من تدفعهم أحداث الأسابيع الأخيرة إلى إعادة النظر في الانفصال يخطئون ويضللون غيرهم. ينبغي لهم أن يتفحصوا تكلفة البقاء في أماكن معينة في مقابل الفوائد المجنية من تركها. إن الحلول من طرف واحد ليست الحل لكل أمر، لكنها نابعة من ضرورات الواقع عندما تقترب الموجة منك. لذلك أعتقد أن فكرة الحل من طرف واحد أيضاً صحيحة بالنسبة إلى منطقتي يهودا والسامرة.

"غزة والضفة مختلفتان إحداهما عن الأخرى في عدد لا حصر له من الأمور. والثوب الذي يجب أن تلبسه الخطة [الانفصال عن الضفة الغربية] يجب أن يكون مختلفاً لألف سبب وسبب. لكن في الأساس فكرة الحل من طرف واحد صحيحة. إنها الجُسَيْم غير القابل للتجزئة؛ ذلك بأن أمامنا ثلاثة خيارات: الأول هو التنازل عن الجزء الأول من خريطة الطريق، وإجراء مفاوضات تحت النار وإقامة دولة فلسطينية مبنية على قاعدة من الإرهاب؛ الخيار الثاني هو الانتظار إلى أن يتغير الفلسطينيون ويصبحون قادرين على تنفيذ خريطة الطريق. وانتظار ذلك سيكون طويلاً جداً، انتظار لفترة غير محدودة؛

"والخيار الثالث هو خطوة أحادية الجانب. من لا يريد قيام دولة إرهاب، من لا يعتقد أن الزمن يعمل لمصلحتنا، يتعيّن عليه أن يصل إلى الاستنتاج أن علينا نحن أن نفعل شيئاً ما، وأن علينا نحن أن نقدم على مبادرة من طرف واحد في يهودا والسامرة أيضاً. أي نوع من المبادرة، وأبعادها ومراحلها – كل ذلك بحاجة إلى نقاش. إنما هذا أمر جدير بتفحص دقيق وشامل.

"لقد كان شارون، أولاً وقبل كل شيء، رجل أمن. والكلمتان اللتان كانتا تعبران، في رأيه، عن جوهر وغاية ترتيب أولويات إسرائيل هما الأمن والسلام، وبهذا الترتيب. ولا شك في أنه كان يؤيد خطوة واسعة من طرف واحد في يهودا والسامرة. وذلك بناء على الافتراض أن حلاً دائماً غير ممكن، وأن خطوة أحادية الجانب أفضل لأمن إسرائيل، ووضعها الدولي، ووضعها الداخلي. لكن نظراً إلى أن عظمته كانت تكمن، بين أمور أُخرى، في أن عقله المتمرس بالتجارب كان يتفحص ويعيد تفحص كل المتغيرات، فإنه لو كان وجد أن فكرة التحرك من طرف واحد تنتقص أمن إسرائيل ولا تعززه، لكان استخلص النتائج. لم تكن لديه بقرات مقدسة.

"بهذه الروحية أقول إن الطموح هو أن تؤدي عملية (التجميع) [تجميع المستوطنات التي تريد إسرائيل ضمها إليها في كتل والتخلي عن المستوطنات الصغيرة والمتفرقة] إلى أن يعيش الإسرائيليون في جانب من الجدار الفاصل والفلسطينيون في الجانب الآخر منه. إن الجدار يجب أن يُدخِل ضمن أراضي إسرائيل كتل المستوطنات الإسرائيلية الكبيرة جميعها، مع الحصول على أوسع اعتراف دولي ممكن بالحق الإسرائيلي وبالوجود الإسرائيلي في هذه الكتل. ومع ذلك يجب أن نجد رداً أمنياً على التهديدات الجديدة الممكن أن تنشأ نتيجة (التجميع). وإذا اتضح أن نقل الإسرائيليين إلى ما وراء جانب من الجدار، وإبقاء الفلسطينيين في الجانب الآخر منه، يمكن أن تنجم عنهما أخطار أمنية مفرطة، فسيكون من الضروري النظر في الأمر بمجمله. وإذا اتضح، بعد تفحص دقيق، أن الخطوة أحادية الجانب ستوجد واقعاً أسوأ، من شأنه أن يشكل تهديداً أخطر لحياة الإسرائيليين وأمن إسرائيل، فيجب عدم الإقدام على تنفيذها. وآمل ألاّ يكون الأمر كذلك."

يوسي بيلين

"أنا أكره أن أكون في وضع من يذكّر بأنني (قلت لكم ذلك). لكن كثيرين جداً ممن حذروا من نتائج الانفصال كانوا محقين في ذلك. وكان هناك، سواء في أوساط اليمين أو في أوساط اليسار، من قدَّر أن الانسحاب من غزة من جانب واحد سيقوّي المتطرفين الذين لا يريدون التفاوض والسلام. وهذا تماماً ما حدث. وفي نظر كثيرين من الفلسطينيين، فإن الانسحاب برهن على أن من الممكن الحصول بالعنف على ما لا يمكن الحصول عليه بالمفاوضات، وأن عشرة أعوام من المفاوضات لم تحقق النتائج التي حققتها أربعة أعوام الانتفاضة. إن أي فلسطيني لم يصدق التلفيقة الإعلامية التي تقول إن الانفصال نجم عن تفكير سياسي عميق لدى شارون. فالانفصال نُظر إليه باعتباره خضوعاً للإرهاب، وخدم (حماس) التي استخدمته برهاناً على أنها هي فقط التي تستطيع تحرير المناطق [المحتلة]. هل انتصرت (حماس) بسبب الانفصال فقط؟ كلا، لكن الانفصال منحها ميزة هائلة. وبالتأكيد، فإن الانفصال أدى إلى زيادة قوة (حماس).

"بسبب الانفصال، وبسبب تبديد عام كامل كان فيه أبو مازن مسيطراً تماماً على السلطة – من كانون الثاني/يناير 2005 حتى كانون الثاني/يناير 2006 – نشأ لدى فلسطينيين كثيرين شعور بأن اليهود لا يفهمون سوى لغة القوة. وهؤلاء الفلسطينيون استنتجوا أن استخدام القوة، ومزيد منها، ومزيد منها، هو وحده ما يمكن أن يخرج إسرائيل من الضفة الغربية بالطريقة نفسها التي أدت إلى خروجها من غزة. وقد سألني قادة فلسطينيون براغماتيون كثيرون في جلسات مغلقة قبل انتصار (حماس) [في الانتخابات]: ما الذي تفعله إسرائيل بنا؟ لماذا تحولهم إلى قادة لا معنى لهم ولا شأن. وفي الحقيقة، من الصعب جداً إقناع الجمهور الفلسطيني بأن يسير في طريق التسوية والمفاوضات عندما تعطي إسرائيل كل شيء مجاناً وبفعل ضغط العنف.

"أحد كبار المسؤولين الفلسطينيين من المعتدلين جداً قال لي منذ فترة قصيرة كلاماً أشد مرارة. قال: نحن نكافح منذ أعوام في الشارع الفلسطيني من أجل سلام إسرائيلي – فلسطيني. نحن نشرح أنه يتعيّن علينا أن نقبل الأحياء اليهودية في القدس الشرقية وتبادل مناطق، وأن تكون الدولة الفلسطينية منزوعة السلاح، وأن يتم التوصل إلى تسوية بشأن مسألة اللاجئين – كي يكون هناك في نهاية المطاف دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة. لكن إذا كانت إسرائيل خرجت من غزة كلها، وستخرج من 90٪ من الضفة الغربية، فهل تظن أننا نستطيع إقناع أي فلسطيني بالموافقة على هذه التنازلات المؤلمة في مقابل الـ 10٪ المتبقية من المنطقة؟

"وبالتالي فإن من الواضح تماماً أن النتائج التراكمية للانفصال و[خطة] (التجميع) لن تكون تقريب العملية السياسية، وإنما التنازل عنها. وأنا أقول بشكل جازم: الانسحابات أحادية الجانب تبعد فرص السلام. نحن نطلب من الفلسطينيين التنازل عن أشياء كثيرة جداً في اتفاقية سلام. ومن أجل 10٪ من مساحة الضفة لن يقبلوا بذلك.

"لقد كان للانفصال فائدتان: الأولى أننا أصبحنا نحكم عدداً أقل من الفلسطينيين، والثانية أنه أوجد سابقة إخلاء مستوطنات على نطاق واسع جداً، وبهذين المعنيين حقق نجاحاً. لكن إذا كان هناك من اعتقد أنه سيؤدي إلى هدوء، فالانفصال قد فشل. وإذا كان هناك من اعتقد أنه سيقربنا من العملية السياسية، فهنا أيضاً يكون الانفصال قد فشل. إنه كان الطريقة الأكثر حماقة للخروج من غزة. الأكثر حماقة. إذ ولّد لدى الفلسطينيين الشعور بأن لا داعي للقيام بتنازلات، ولدى الإسرائيليين الشعور بأن الانسحاب لا يجلب الهدوء [....] الفلسطينيون يقولون إن القوة وحدها ستؤدي إلى الانسحاب ويستخدمون القوة، والإسرائيليون يرون استخدام القوة هذا ويستنتجون أن الانسحاب لا يجلب سوى مزيد من العنف.

"لقد توقعت حدوث ذلك سلفاً. عرفت أن الانفصال سيقوي (حماس)، وإذا لم تحدث مفاوضات بعده فسيؤدي إلى زيادة العنف. لذلك واجهت صعوبة كبيرة في تقرير ما إذا كان يجب أن أؤيد الانفصال، أو أعارضه. وما حسم الأمر في النهاية هو أن حزباً مثل ميرتس لا يستطيع أن يصوت [في الكنيست] ضد إنهاء الاحتلال، ولو جزئياً، وضد إخلاء المستوطنات، وأن حزباً مثل ميرتس لا خيار له في هذا الأمر. ولذا، أيدته وبكيت. أيدته وبكيت. أيدته على الرغم من معرفتي أن هذه الخطوة أبعد ما تكون عن الصواب.

"والآن، يتحدث أولمرت عن (التجميع). ومن الواضح أن (التجميع) هو الطريقة الأكثر حماقة للخروج من الضفة. الخروج من 90٪ من مساحتها؟ الخروج من دون مفاوضات؟ من دون مقابل؟ من دون اتفاق؟ في الأسبوع المنصرم اجتمعت بأولمرت. قلت له: يجلس هنا [في الكنيست] بنيامين نتنياهو. يقول إن الشريك ضعيف، ولا يثق به، ولذلك فإنه لن يتزحزح. أعتقد أنه مخطئ، لكنني أفهم منطقه. وفي المقابل فإنني لا أفهم منطقك، يا أولمرت. وهذا ليس تحرشاً، وإنما أنا فعلاً لا أفهمه.

"ماذا تقول! إن لي شريكاً ضعيفاً، وأنا لا أثق به، ولذلك أعطيه 90٪ من المساحة مجاناً! وفي الحقيقة، فإن من الواضح ما سيحدث في المناطق إذا نفذنا (التجميع). سنجد أنفسنا أمام (حماس) من ناحيتين. وفي الوقت الذي يكافح العالم بأسره الإرهاب الإسلامي سنساعد نحن على تقوية عنصر إرهابي، ونقدم على تنازل تاريخي عن الاعتراف بالقدس عاصمةً لإسرائيل، وعن الاعتراف بحدودنا الشرقية، وعن شطب مشكلة اللاجئين من جدول الأعمال. وبالتالي، من الممكن أن يكون ذلك هذه المرة ضربة مميتة. من يتنازل عن 90٪ من المساحة ويعتقد أن ذلك سيفتح الطريق أمام مفاوضات في المستقبل، يكون يهذي. إن انسحاباً أحادي الجانب من 90٪ من مساحة الضفة الغربية معناه أنه لن يكون هناك أي حافز لأي زعيم فلسطيني كي يصل معنا في أي وقت إلى حل. إن (التجميع) معناه إضعاف الفرصة للتوصل إلى اتفاق سلام خلال حياتنا بأكثر الأشكال درامية.

"إن (التجميع) أسوأ من الانفصال بمعنى إضافي: في الانفصال كان هناك على الأقل إخلاء مطلق للمستوطنات. لم يبق هناك أي مستوطن في قطاع غزة. وفي مقابل ذلك فإن النية فيما يتعلق بـ (التجميع) هي أن يهوّنوا الأمر على المستوطنين بالسماح لـ 70.000 منهم بالسكن في الـ 10٪ من المساحة التي ستبقى بيد إسرائيل. وهذا يعني بناء 15.000 وحدة سكنية وراء الخط الأخضر. وهذا يعني أيضاً فورة بناء في كتل المستوطنات. نحن لن نؤيد ذلك. أقصى ما يمكن أن نفعله هو أن نصوت مع انفصال في الضفة. لن نصوت مع (تجميع). وإذا كان الخروج من الضفة الغربية مشروطاً ببناء في المستوطنات فسنصوت ضد (التجميع). ولن نرفع أيدينا على الإطلاق تأييداً لبناء مكثف في كتل المستوطنات.

"وبالتالي، فإن (التجميع) لن يمر. من دون ميرتس سيؤيد أولمرت 55 [عضو كنيست]. معنا سيؤيده 60، مع إمكان أن تؤيده الكتل العربية أو تمتنع من التصويت. وإذا صوتنا ضد (التجميع)، فلا توجد فرصة لأن تؤيده أي كتلة عربية أو تمتنع من التصويت. لكن إذا صوتنا مع الانفصال فهناك فرصة لأن يؤيده أيضاً جزء منهم، أو يمتنع من التصويت، وعندها سيحصل أولمرت على أغلبية ضئيلة. لذا أقول إنه لن يكون هناك (تجميع). سياسياً لا يمكن أن يكون هناك (تجميع). هذا سخف مطلق. لكن يمكن أن يكون هناك انفصال.

"من الممكن في نهاية المطاف أن أؤيد وأبكي. ومن الممكن أن أكون بذلك أدعم عملية تاريخية ستحول دون تحقيق الهدف الصهيوني: دولة يهودية تعيش بسلام مع جيرانها. لكن إيهود أولمرت شخص ذكي. وأنا أحترمه. لذلك آمل بأن يكون مدركاً جسامة المسؤولية الملقاة على عاتقه. وأنا أطلب منه، قبل أن يذهب بنا إلى مسار مغلوط فيه كهذا، أن يفسر لنا ما يفعله. أن يفسر لنا ما المنطق وراء ذلك. إنه يعرف الآن أنه لن يحصل على اعتراف دولي بالخط الذي سيرسمه في الضفة. الأوروبيون قالوا له بوضوح إنه لا توجد فرصة لأن تعترف أوروبا بحدوده كحدود دائمة. وإذا كان ذكر الرقم 90٪ كموقف افتتاحي فسيصل إلى 95٪. وبحسب رأيي لا يستطيع أن يصل إلى رقم أقل من 100٪. وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا يجرب الاتفاق. إذا كنت على استعداد لدفع الثمن المستعد بيلين لدفعه، فلماذا لا تجرب الحصول على المقابل الذي يريد بيلين الحصول عليه؟

"لنأخذ السيناريو الأسوأ. لنفترض أنه بعد يوم من توقيع [اتفاق] سافر الشريك الفلسطيني إلى باريس ولم ينفذ شيئاً. سيكون لديك علاقات دبلوماسية بالدول العربية. سيكون لديك اعتراف دولي بالحدود الشرقية. لن يكون هناك لاجئون يسببون لك الصداع. إذاً لماذا لا تفعل ذلك؟ من أجل 10٪؟ من أجل 530 كم2؟ هذه المقاربة ليست مفهومة. إنها ليست مفهومة. ولذا أزعم أنك تستطيع أن تكون بيبي [بنيامين نتنياهو]. هنا يوجد منطق. وتستطيع

أن تكون بيلين. وأنا أعتقد بالتأكيد أن هنا أيضاً يوجد منطق. لكنك لا تستطيع أن تكون أولمرت، لأن فكرة أولمرت أحادية الجانب تفتقر إلى أي منطق."

[الوزير] أفي ديختر

"في نقاش شاركت فيه كمسؤول عن لواء [جغرافي إداري] في الشين بيت قبل أكثر من عشرة أعوام، سأل يتسحاق رابين عما إذا لم يكن من الأفضل أن ننشر قطاع غزة ونفصله عن البر ونتركه يطفو وينجرف بعيداً إلى أعماق البحر؟ عملنا أعواماً كثيرة من أجل ذلك ولم نفلح. ومن هنا كان قرار القيادة السياسية أنه إذا لم يكن من الممكن أن نفصل غزة عنا، فمن الضروري أن نفصل أنفسنا عنها. وهذا هو الانفصال، وهو قرار استراتيجي شرعي اتخذته القيادة السياسية.

"أتوا وسألوني، كرئيس للشين بيت، ماذا سيحدث بعد الانفصال؟ فقلت إنه سيحدث انخفاض كبير في عدد الاعتداءات علينا، وإن معظم العمليات ضدنا سيكون اعتداءات بواسطة [صواريخ] القسّام واعتداءات عند الجدار. وهذا تماماً ما حدث. وكانت مفاجأة سارة لي أنه منذ أيلول/سبتمبر حتى الأسبوعين الأخيرين، لم يقتل أي إسرائيلي من جرّاء إرهاب مصدره قطاع غزة. عشرة أشهر من دون أن يقتل إسرائيلي واحد – هذا في رأيي إنجاز استثنائي.

"المشكلة الراهنة هي مشكلة القسّام. والمسألة هنا مسألة تخص القيادة السياسية. ماذا لدى هذه القيادة من استعداد لأن تفعل من أجل محاربة صواريخ القسّام؟ عندما قال رئيس الحكومة في اجتماع المجلس الوزاري إن على إسرائيل أن تفعل كل شيء، كل شيء، لإطلاق غلعاد شليط أضفت أنه ينبغي لإسرائيل أن تفعل كل شيء، كل شيء، لإيقاف إطلاق صواريخ القسّام. ينبغي للقيادة السياسية أن تصدر إلى الجيش توجيهاً بأن يعمل لإيقاف إطلاق صواريخ القسّام بأي ثمن. والجيش سيعرف كيف يترجم هذا التوجيه إلى مفاهيم عملانية، حتى لو كان معنى ذلك تحويل بيت حانون إلى مدينة أشباح، لأن البديل هو أن تتحول سديروت إلى مدينة أشباح.

"خلافاً للاعتقاد السائد عندنا، فإن الفلسطينيين إرهابيون سَحَرة. إنهم بكل بساطة قتلة يطلقون [الصواريخ] بقصد قتل يهود. وقد تحول القسّام لديهم إلى بديل من الاعتداءات الروتينية. لكن الإحباط الموضعي [الاغتيالات] ليس حلاً في مواجهة القسّام. إنه حل في مواجهة الذين يحرضون على الإرهاب. وفي مواجهة مطلقي القسّام يجب إيجاد ميزان ردع على غرار الموجود بالنسبة إلى الجنوب اللبناني. وحتى الآن لم يحدث ذلك لأننا عملنا في نطاق طقوس الإحباط الموضعي، وبالتالي لم تكن قوة الردع في مواجهة مطلقي القسّام فعالة. الآن يجب إيجاد قوة ردع فعالة. وهذه يمكن إيجادها عن طريق الضغط. أنت تدخل منطقة لا من أجل الاستيطان فيها، ولا لأنها ميراث الأجداد. أنت تدخل لإيصال رسالة. هكذا كان الأمر في لبنان: دخلنا الجنوب والسكان الذين هربوا ضغطوا على الحكومة التي ضغطت على حزب الله كي يوقف إطلاق صواريخ الكاتيوشا. (حماس) لا تستطيع أن تبقى لامبالية إذا هرب آلاف السكان من بيوتهم بسبب إطلاق صواريخ القسّام التي هي مسؤولة عنها.

"صواريخ القسّام ليست نتيجة الانفصال. فقبل الانفصال أُطلق نحو 600 صاروخ. وفي هذا الخصوص لم يتغير شيء. في مقابل ذلك سحب الانفصال من تحت أقدام الفلسطينيين بساطاً كاملاً من الأهداف. كما أنه أضعف قدرتهم على إلحاق الضرر بنا، وقلصها تقريباً إلى مجرد إطلاق صواريخ القسّام. لكن ما هو أبعد من ذلك هو أن الهدف من الانفصال كان الخلاص من قطاع غزة ومن المسؤولية عنه، ودفعه إلى أن يكون مرتبطاً بمصر، لا بإسرائيل. وهذا الهدف قد تحقق. تخلينا عن 5٪ من أراضي السلطة الفلسطينية، وعن 40٪ من سكانها. أمّا في يهودا والسامرة فهناك منظومة نحن موجودون فيها في كل مكان، وتسري عليها قواعد لعبة مختلفة. لذلك فإن ما سيجري بالنسبة إلى الضفة الغربية لن يكون امتداداً لما جرى بالنسبة إلى غزة، وإنما سيكون عكسه.

"ومع أنه لا يوجد لدى الحكومة، أو لدى [حزب] كديما، خطة (تجميع) متماسكة منهجياً، فإن للخطة صيغتين: الأولى تقول بأن الانفصال سيحصل على مباركة دول اللجنة الرباعية، وفي الأساس الولايات المتحدة. وفي هذه الحالة سيكون (التجميع) انكفاء إلى مساحة صغيرة تتضمن الكتل [الاستيطانية] الكبرى القائمة وراء الخط الأخضر، ويتم رسم الحدود النهائية بين إسرائيل والفلسطينيين باتفاق دولي. أمّا الصيغة الثانية فتفترض أنه لا يمكن الحصول على مباركة أو موافقة دول اللجنة الرباعية على (التجميع) مهما يكن. وفي هذه الحالة ستلجأ إسرائيل إلى (تجميع) مرحلي محدود أكثر، وإلى كتل أكبر حجماً، وإلى خط يتيح إدارة المشكلة في مواجهة الفلسطينيين. وبالتالي سيبقى جزء كبير من المساحة بيدنا. في نظري، الصيغة الأولى هي الأفضل، لكن الصيغة

الثانية هي الواقعية. وأجد من الصعب جداً توقع أن تعطي اللجنة الرباعية مباركة واضحة لـ (تجميع) يرسم الحدود النهائية.

"لكن في كلا الصيغتين من الواضح أن وصول قوات الجيش وأجهزة الأمن إلى جميع مناطق الإرهاب لا يمكن أن يتغير. إذ سيكون من غير المعقول أن تخرج إسرائيل أمنياً من نابلس وتأمل بأن تحُل مشكلة الإرهاب من تلقاء نفسها. للأسف الشديد، في هذا الصراع لا تحُل الأمور من تلقاء ذاتها إذا لم يجر ترتيب أمر حلها. وإذا أنت أرخيت العنان فستتعاظم بسرعة شديدة أنواع جديدة من الإرهاب من الممكن أن تضر بنا حتى بعد أن ننجز بناء الجدار الفاصل. والحاجز ليس بديلاً من وجودنا في كل مكان. ونحن نمنع الإرهاب في يهودا والسامرة لأننا منذ نيسان/أبريل 2002 موجودون في كل مكان. وأيضاً في المستقبل سنضطر إلى أن نكون موجودين في كل مكان، إلى أن تظهر جهة فلسطينية مسؤولة تستطيع تحمل المسؤولية. إن (التجميع) سيغير فقط انتشار المستوطنات في المنطقة، لا انتشار القوات.

"أنا متأكد من أنه في نهاية المطاف سيظهر شريك فلسطيني، وبالتأكيد في يهودا والسامرة، لكن الانتشار يجب أن يبقى عشرات الأعوام. لذلك فإن غور الأردن يجب أن يكون حدود إسرائيل الشرقية. ويجب أن تكون جميع الكتل [الاستيطانية] المجاورة للخط الأخضر ضمن أراضينا، وكذلك الكتل الجاذبة نحو غور الأردن. عوفرا – بيت إيل، كدوميم – كرني شومرون، أريئيل. ومن خلال هذا التصور، يمكن إخلاء مستوطنات أقل بالتفاهم مع زعماء المستوطنين في يهودا والسامرة.

"الانفصال كان نجاحاً، لكن (التجميع) سيكون مختلفاً كلياً عن الانفصال. في غزة حدث انفصال سياسي وعسكري، بينما في يهودا والسامرة سنترك خلفنا جمرات مشتعلة، وأية هبة ريح يمكن أن تشعل حريقاً فيها كلها.■

(*) المصدر: "هآرتس"، 2006/7/6. وقد ترجم النص عن العبرية أحمد خليفة.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx